(موقف الإمام ابن عاشور من قضايا القراءات في تفسيره)
- سور النساء والمائدة والأنعام - أنموذجاً
- دراسة تحليلية -

م.د. إيمان عز الدين محمد*

ملخص البحث:

جاء هذا البحث ليسلط الضوء على موقف الإمام الطاهر بن عاشور من القراءات القرآنية في الكشف عن المعاني واعتماده في تفسيره على القراءات المتواترة وذلك خلافا لكثير من المفسرين القدماء والمعاصرين منهم ، الذين تطرقوا كثيرا في تفاسيرهم لا للقراءات المتعددة الصحيحة والشاذة منها.

ويرى أن تواتر القراءات هو الشرط الأساس لقبول القراءة ، وأما الشروط الثلاثة التي اشترطها العلماء من موافقتها وجها من العربية ، وموافقتها خط المصحف وصحة السند؛ انما هي شروط وجدت للقراءة غير المتواترة ، والتواتر غني عن هذه الشروط؛ لأن تواترها يجعلها حجة ، ويغنيها عن الاعتضاد بموافقة المصحف المجمع عليه وكل قراءة وافقت الشروط الثلاثة تعد قراءة صحيحة ولم تبلغ حد التواتر فهي بمنزلة الحديث الصحيح .

وركز البحث ايضا على ما قرره ابن عاشور في تفسيره أن الزيادة على النص ليست نسخا ، كما ان تخصيص العام وتقييد المطلق لا يعد نسخاً، وأن المتقدمين من المفسرين اعتبروا ان تقييد المطلق نسخاً ولكن بشرط ان يكون الاجماع مستنداً إلى نص شرعي ، فالنص يكون ناسخاً حقيقياً

* كلية الامام الاعظم(رحمه الله)الجامعة/ قسم / اللغة العربية /التخصص/ التفسير

للحكم.،كما اشار ابن عاشور في تفسيره الى أن الأصل توافق القراءات في المعنى وان حصل اختلاف في المعنى فهو أمر مطلوب ليكثر المعاني في الآية الواحدة.

كذلك إبراز جهود ابن عاشور في الدفاع عن القراءات المتواترة ضد الطاعنين فيها من اللغويين وغيرهم . كل هذا من خلال سورة النساء والمائدة والانعام .

Summary

This research aims to shed light on Imam Tahir ibn Ashur's position on the various Quranic readings in revealing meanings, and his reliance on the Mutawatir (consecutive) readings in his interpretation. This contrasts with many ancient and contemporary commentators, who have extensively addressed the various correct and deviant readings in their interpretations. He believes that the mutawatir (consecutive) readings are the fundamental condition for the acceptance of a reading. The three conditions stipulated by scholars—consistency with a specific aspect of Arabic, conformity with the script of the Qur'an, and authenticity of the chain of transmission—are conditions found only for non-mutawatir readings. Mutawatir (consecutive) readings are independent of these conditions, as their mutawatir (consecutive) makes them authoritative and unnecessary to rely on the consensus of the Qur'an. Any reading that meets these three conditions is considered correct, but does not reach the level of mutawatir (consecutive) readings, and is thus considered an authentic hadith. The research also focused on what Ibn Ashour established in his interpretation, stating that adding to a text is not abrogation. Similarly, specifying a general or restricting an absolute is not abrogation. Earlier interpreters considered restricting an absolute to be abrogation, but only if consensus is based on a legal text. In this case, the text is a true abrogator of the ruling. Ibn Ashour also indicated in his interpretation that the basic principle is that the readings agree on meaning, and if there is a difference in meaning, this is required to allow for multiple meanings within a single verse. He also highlighted Ibn Ashour's efforts in defending the transmitted readings against those who challenge them, including linguists and others. This is all done through Surat An-Nisa, Al-Ma'idah, and Al-An'am.

(موقف الإمام ابن عاشور من قضايا القراءات في تفسيره)
- سور النساء والمائدة والأنعام - أنموذجاً
- دراسة تحليلية -

م.د. إيمان عز الدين محمد

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، ونحمد الله العلي القدير الذي وفقنا على إتمام هذا البحث المتواضع ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ... وبعد

فإنَّ أفضل ما تُصرف فيه الأوقات، وتقضى فيه الاعمار كلامه ﷻ تعلماً وتلاوة وتعليماً. وكل ما يعين على فهمه وتدبره .

ويأتي علم القراءات على رأس العلوم التي يتضلع بها كل باحث يريد أن يتصدى للطاعنين بكلام الله تعالى ولا يستطيع الإجابة عليها الا العلماء المتخصصون في هذا العلم، لإقناع واثبات الحجة للمسلم وغيره، ومن هؤلاء المفسرين المعاصرين الذين مَن الله بهم على البشرية إمامنا العلامة الطاهر ابن عاشور.

وفي البحث حرصت على إبراز موقفه في التعامل مع القراءات القرآنية (المتواترة, والشاذة) وكيفية تطبيقها من خلال تفسيره (التحرير والتنوير) .

أولاً :أهداف البحث

١- بيان منهجية ابن عاشور في كيفية معالجته لبعض القضايا المتعلقة بـ (علم القراءات).

٢- أنواع القراءات في تفسيره ؟ وكيفية تعامله معها ؟

٣- إبراز أهم القواعد التي وضعها في تفسيره في الحكم بما يخص القراءات.

٤ - توضيح رأيه والمقارنة مع غيره من المفسرين القدماء والمعاصرين في اتفاقه واختلافه بالحكم عند تفسيره للآيات المتعلقة بالقراءات.

٥- طريقة رده على الطاعنين ودفاعه عن القراءات المتواترة .

ثانياً :أهمية البحث

١.تأتي أهمية البحث كونه يهتم بكتاب الله تعالى ودراسة علومه وهذه غاية سامية ينبغي ان يسعى إليها كل مسلم

٢. أهمية هذا البحث تحديداً تكمن في توضيح أهم القضايا المتعلقة بـ (علم القراءات) وكيفية معالجة ابن عاشور لتلك القضايا في تفسيره.

٣. كثرة دفاعه عن القراءات المتواترة ضد الطاعنين من اللغويين والمفسرين .

٤. تخصصي في علم التفسير وشغفي فيه دعاني الى الحرص على الكتابة في هذا المجال....

ثالثاً : اسباب اختياري للموضوع:

يعود اختياري لموضوع البحث إلى ثلاثة أمور أساسية :

أولاً: كون هذا التفسير يعد بمثابة موسوعة علمية معاصرة، تمثل خلاصة وزبدة لما في التفاسير السابقة والمعاصرة .

ثانياً : تضمُن تفسير ابن عاشور على دراسة واسعة على علم القراءات وتوسعه فيها .

ثالثاً : تبحره في علوم القران واللغة مكنه من حل كثير من القضايا الشائكة في علم القراءات، وتعامل معها بعلمية وموضوعية .

رابعاً :منهجية البحث

اتبعت في هذا البحث على الدراسة التحليلية وكانت سور(النساء والمائدة والأنعام) أنموذجا للبحث .

سادساً:مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في إثارة عدة تساؤلات أهمها :

– موقف ابن عاشور من القراءات المتواترة في تفسيره ، وبيان طريقته في التعامل مع القراءات المتواترة التي ميزته عن غيره .

– موقف الإمام من القراءات الشاذة و كيفية تعامله معها في تفسيره .

سابعاً : الدراسات السابقة :

١– قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير. للباحثة عبير بنت عبدالله النعيم، أطروحة دكتوراه قدمتها الباحثة الى جامعة ام القرى سنة ٢٠١٥ ركزت الأطروحة على منهجية ابن عاشور في الترجيح، وأهم ما تميز قواعد الترجيح وفق منهجيته المتعلقة بالنص القرآني .

٢– الإمام الطاهر محمد ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال كتابه التحرير والتنوير، رسالة ماجستير .قدمها الطالب محمد بن سعد بن عبدالله القرني الى كلية الدعوة واصول الدين في جامعة ام القرى سنة ١٤٢٧هـ

اعتنى فيها الباحث بشروط القراءات وفوائدها عند ابن عاشور، كما بين أن لب رسالته تعتمد على كيفية توجيه ابن عاشور – رحمه الله – للقراءات ، وأهمية توجيهه للقراءات في تفسيره.

٣. ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، رسالة ماجستير . د نبيل احمد صقراعتنى فيها الباحث على ترجمة ابن عاشور من : الناحية السياسية، والعلمية ، والاجتماعية، إضافة إلى عنايته بالتفسير المأثور والرأي، ومنهجه في تفسير آيات الأحكام ، ثم أخذ بذكر الايجابيات والسلبيات في تفسيره.

ثامناً :خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مقدمة، وتمهيد وأربعة مطالب، ثم الخاتمة اوجزت فيها اهم النتائج التي توصل اليها البحث.

اما التمهيد : ذكرت فيه نبذة موجزة عن سيرة ابن عاشور ويتضمن مطلبين:

المطلب الاول: اسمه و نشأته :

هو العلامة المفسر محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور ، ولد في تونس سنة (١٢٩٦) هـ ، الموافق (١٨٧٩) م ، وهو من أسرة علمية عريقة .

نشأ الشيخ في بيئة علمية ودينية ، فجده لأبيه عالم وهو قاضي قضاة في تونس ، وجده لأمه عالم أيضاً ، تولى الوزارة ، وكانت أسرته لها مكتبات علمية كالمكتبة العاشورية وغيرها تشتمل على مخطوطات علمية نادرة في مختلف العلوم والفنون، وتجاوزت شهرة أسرته العالمين العربي و الإسلامي. [١]

المطلب الثاني : مسيرته العلمية والعملية :

ترعرع العلامة ابن عاشور من نعومة اظفاره في أسرة علمية ودينية وفي هذا الوسط العلمي والسياسي والإصلاح شب فحفظ القرآن بإتقان منذ الصغر إضافة إلى ذلك حفظ المتون العلمية كسائر أبناء عصره ، ثم تعلم الفرنسية [٢] والتحق بالجامع الاعظم جامع الزيتونة وهو شاباً (١٣٠٣ هـ) واحرز على شهادة التطويع (١٣١٧ هـ)[٣] فاقبل بعد ذلك على التدريس بالجامع الاعظم ثم تدرج إلى ان صار عضوا مؤسسا في لجنة إصلاح التعليم ، ثم التحق بالمحكمة فكان قاضياً مالكيا(١٩١١م) حتى وصل إلى درجة كبير المفتين (١٩٢٤) للمذهب المالكي ، وبعد حدثت اضطرابات سياسية كثيرة (١٩٣٢م) وما بعدها وكان له معارضين فرموه بالدسائس والسبب أنهم أرادوا إقامة الحكم اللاديني في تونس[٤] فكان نزاعه مع السلطات مستمرا فالتجأ الإمام إلى الكتابة

---

١ ينظر: شيخ الجامع الاعظم ، ٣٧- ٤٠.

٢ المصدر نفسه ،ص ٣٧-٤٠ .

٣ شهادة التطويع تعطى بعد اجراء امتحان التطويع ، ومن يجتازها يرخص له الاقراء في الجامع الاعظم.

ينظر: جامع الزيتونة المعلم ورجاله ، محمد عبد العزيز بن عاشور، د. ط ، دار سراس، تونس، ١٩٩١م،ص١١٥ .

٤ ينظر : ينظر: جامع الزيتونة المعلم ورجاله ، محمد عبد العزيز بن عاشور، د. ط ، دار سراس، تونس، ١٩٩١م.ص١٢٥ .

والتحقيق والتأليف، حيث أنشأ مجلات وبحوثا كان لها الأثر الأساسي في الاصلاح ليس على مستوى المغرب العربي؛ بل شملت الدول العربية والإسلامية قاطبة ، وقد عين في المجمعين للغة العربية في القاهرة ودمشق إضافة إلى المجمع العلمي[١].

المطلب الرابع : شيوخه :

اكتسب ابن عاشور ثقافة علمية واسعة؛ لأنه درس على عدد كبير من الشيوخ الأجلاء واشتملت دراسته على اللغة وفنونها وعلوم القرآن والحديث ومصطلحه علاوة على علوم أخرى كالمنطق والتاريخ وغيرها، كل ذلك جعله يكتسب موسوعة علمية عالية ، إلى جانب قدرته الفائقة على الدعوة والتدريس ، فهو لم يركز على العلوم الدينية فحسب بل أجاد بالعلوم العلمية أيضاً .

ومن أشهر شيوخه (أحمد الفقيه [٢] وسالم بوحاجب البنيلي[٣]ومحمد العزيز بوعتور وإبراهيم المارغني [٤] وصالح الجزائري[٥]) .

المطلب الخامس: وفاته :

توفي (رحمه الله) في يوم الاحد /١٣ / رجب / ١٣٩٣ هـ عن عمر يناهز (٩٧عاماً) في تونس ضاحية المرسى [٦] وبموته ودعت الأمة الإسلامية أبرز شخصية علمية عرفها القرن (١٤ هـ) حيث قدم للمسلمين وللإسلام من العلم النافع الكثير.

وقد بين منهجه فيه في مقدمته فقال (وَقَدِ اهْتَمَمْتُ فِي تَفْسِيرِي هَذَا بِبَيَانِ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ ، وَنُكَتِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ ، وَاهْتَمَمْتُ أَيْضًا بِبَيَانِ تَنَاسُبِ اتِّصَالِ الْآيِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ

---

١ = ينظر : تراجم المؤلفين التونسيين ، أ : محمد محفوظ ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢م، ٣ /٣٠٦.

٢ = تلقى ابن عاشور على يديه علم النحو والفقه المالكي ، ويعد ابن عاشور ابرز تلاميذه وكان للشيخ احمد عدة مؤلفات مهمة.

ينظر : تراجم المؤلفين التونسيين ، ص٢/٥٠ .و معجم المؤلفين ، عمر كحالة، د. ط ، مكتبة المثنى ، دار الإحياء العرابي ، بيروت ، د.ن ، ١٨٤/١ .

٣ = كان استاذا وفقيها ومحدثا ومحققا لغويا واديبا وشاعرا ايضا، كان له اليد الطولى في تدريس ابن عاشور المعقولات، اضافة انه ملما بعلمي التاريخ والجغرافية، (ت:١٣٤٢هـ).

ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين ،ص ٢-٧٧-٨١ . وشجرة النور ، ص٤٢٦- ٤٢٨ .

٤ = تميز في علم القراءات وتخرج ابن عاشور على يديه في القراءات العشر، (ت:١٣٤٩هـ).

ينظر : تراجم المؤلفين التونسيين ، ٢٩٩/٤ .

٥ =اصله من الجزائر وكان مدرسا في الجامع الاعظم حصل على شهادة التطويع ، حيث كان له دورا مميزا في اصلاح التعليم بتونس، درس ابن عاشور على يديه النحو والمنطق والعقيدة والفقه .

ينظر : تراجم الأعلام ، للفاضل ابن عاشور، د.ط ، الشركة التونسية ، تونس ، ١٩٧١م، ص ٢١٢ .

٦ = ينظر: شيخ الجامع الاعظم ، ص٦٨ .

... وَلَمْ أُغَادِرْ سُورَةً إِلَّا بَيَّنْتُ مَا أُحِيطُ بِهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا ؛ لِئَلَّا يَكُونَ النَّاظِرُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مَقْصُورًا عَلَى بَيَانِ مُفْرَدَاتِهِ وَمَعَانِي جُمَلِهِ كَأَنَّهَا فِقَرٌ مُتَفَرِّقَةٌ تَصْرِفُهُ عَنْ رَوْعَةِ انْسِجَامِهِ وَتَحْجُبُ عَنْهُ رَوَائِعَ جَمَالِهِ)[1] .

في اللغة: هي جمع مفرده "قراءة" مصدر قرأ، وتدل مادة "القاف والراء والحرف" المعتل على معنى الجمع والاجتماع ومن ذلك القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون قريت الماء في المقرأة جمعتُه، وذلك الماء المجموع قري [٢]

واما اصطلاحاً: لعلماء القراءات تعريفات متعددة لها قديماً وحديثا[٣] ومن أدق تلك التعريفات، تعريف الإمام الجزري (رحمه الله)[٤] لأنه جمع الايجاز والدقة العلمية معاً، فقال :(القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله) [٥].

المطلب الأول : شروط القراءات المقبولة عند العلماء

اشترط علماء القراءات ثلاثة شروط تعرف بها القراءات المقبولة من غيرها وهي :

١- موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه .

٢- موافقة رسم المصاحف العثمانية .

٣- **صحة سندها** [١] .

١- ينظر: مقدمة التحرير والتنوير ٦/١.

٢ - معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس(ت: ٣٩٥هـ) ، تح : عبد السلام هارون، د. ط ، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ ،٧٨/٥ .

٣ -ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي(ت٧٤٥هـ)، تح : المرعشلي و آخرون ، ط١، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٠هـ ،٣١٨/١ ؛ وإتحاف فضلاء البشر، البناء الديمياطي(ت: ١١١٧هـ) تح: أنس مهرة، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٧هـ، ص١٤٧.

٤-هو محمد بن علي الجزري، شافعي المذهب ، عالم بالقراءات والتجويد ، الف العديد من الكتب المهمة في القراءات القراءات والتي تعد

اساسا لهذا العلم ، امتدت حياته(٧٥١هـ- ٨٣٣هـ) ينظر: غاية النهاية ، ابن الجزري(ت: ٨٣٣هـ)، ط١، مكتبة ابن تيمية ، بيروت ،١٣٥١ هـ،٢٤٧/٢ .

٥ -منجد المقرئين ، ابن الجزري ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ، ص٩.

فمن أركان القراءة الصحيحة والمقبولة أن تكون أولاً موافقة للغة العربية ولو بوجه من الوجوه المثال الاول : قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [٢]

يقول ابن عاشور في تفسيره: (وَالْأَرْحَامَ) قرأه الجمهور – بالنصب– عطفاً على اسم الله وقرأه حمزة [٣] – بالجر– [٤] عطفا على الضمير المجرور، فعلى قراءة الجمهور يكون الأرحام مأموراً بتقواها على المعنى المصدري أي اتقائها، وهو على حذف مضاف، أي حقوقها، فهو استعمال المشترك في معنيه، وعلى هذه القراءة فالآية ابتداء تشريع وهو مما أشار اليه قوله تعالى : (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) وعلى قراءة حمزة يكون تعظيماً لشأن الأرحام أي التي يسأل بعضكم بعضاً بها وذلك قول العرب: (ناشدتك الله والرحم).

كما جاء أن النبي(صلى الله عليه وسلم) حين قرا على عتبة بن ربيعة [٥] سورة فصلت حتى بلغ (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) [٦] فأخذت عتبة رهبة وقال: (ناشدتك الله والرحم).[٧] [٨] مما يدل على استحضار ابن عاشور إلى تضعيف النحاة لقراءة الجر

١- ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري(تك ٨٣٣هـ) ، تح : علي الصباح ، ط٢، دار الفكر، دمشق،٩/١.

٢- سورة النساء: الآية: ١

٣- هو حمزة بن حبيب الزيات احد القراء السبعة ادرك عدد من الصحابة من الطبقة الثالثة كان عالما بالنحو والحديث وعلم

الفرائض اخذ القراءة عرضا على اشهر القراء سمي بالزيات لانه كان يجلب الزيت امتدت حياته(ت: ٨٠ هـ – ٢٢٠هـ)

ينظر : ميزان الاعتدال ، للذهبي(ت: ٧٤٨هـ) ، تح :علي البجاوي ، ط١، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٨٢ هـ، ٦٠٥/١.

٤ – هاتان القراءتان متواترتان. ينظر: السبعة في القراءات ، ابن مجاهد(٣٢٤هـ) ، تح : شوقي ضيف، د.ط ، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠ هـ، ص٢٢٦؛ والتيسير في القراءات السبع ، الداني (ت: ٤٤٤هـ)،ط٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٦هـ، ص٩٣.

٥- هو ابو الوليد القريشي، من كبار وسادة قريش ، كان موصوفا بحلمه ونقده ورايه وخطيبا قتله حمزة في معركة بدر ، يعتبر من اشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم . ينظر: الأعلام ، للزركلي ،ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت / ٢٠٠٢ م، ٢٠٠/٤.

٦- سورة فصلت، من الآية: ١٣

٧- التحرير والتنوير ، ٢١٧/٤-٢١٨.

٨ – اخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب التفسير، عن جابر بن عبدالله، بالرقم٣٠٠٢ ، ٢٥٣/٢ .وصححه الحاكم و وافقه الذهبي..

حين قال: (وهو ظاهر محمل هذه الرواية وإن أباه جمهور النحاة استعظاماً لعطف الأسم على الضمير المجرور بدون إعادة الجار حتى قال المبرد: (لو قرأ الإمام بهذه القراءة لأخذت نعلي وخرجت من الصلاة)[1] وهذا من ضيق العطن وغرور بأن العربية منحصرة فيما يعلمه.[2]

ذهب المفسرون في هذه الاية الى مواقف مختلفة، فالمفسرون الذين أخذوا بكلتا القراءتين المتواترتين [3](الرازي ، والقرطبي، وابن كثير، وأبو حيان ، وابن عاشور، والقاسمي)[4] وقد اعتبر ابن عاشور اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن الكريم يكثر المعاني في قوله: (واختلاف القراءات في ألفاظ القرآن الكريم يكثر المعاني القائمة في الآية الواحدة نحو . حتى يطهرن . بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة وبسكون الطاء وضم الهاء المخففة)[5].

وحجتهم في ذلك أن كلتا القراءتين من القراءات السبعة المتواترة المعتمدة [6]، وبناء عليه فإن معظم المفسرين أخذوا بهذا المعنى، وقد بين أبو علي الفارسي فقال: (من نصب الأرحام احتمل إنتصابه من وجهين :

أحدهما : أن يكون معطوفاً على موضع الجار والمجرور .

والآخر : أن يكون معطوفاً على قوله : (وَاتَّقُوا) والتقدير: اتقوا الله الذين تساءلون به ، واتقوا الارحام اي واتقوا حق الارحام فصلوها ولا تقطعوها وأما من جر الأرحام فإنه عطفه على الضمير المجرور بالباء) [1] .

---

[1] -التحرير والتنوير ٢١٨/٤

٢- المصدر نفسه .

٣- تعريف القراءة المتواترة في موضوع صحة السند. وينظر : قواعد بالترجيح المتعلقبة بالنص عند ابن عاشور في تفسره التحرير والتنوير لعبير بنت عبدالله النعيم ، ص٥٣٥.

٤ - ينظر: مفاتيح الغيب او التفسير الكبير، الرازي(ت٦٠٦هـ)،ط٣،دار احياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ،٤٧٩/٣؛ والجامع لاحكام القران، القرطبي (ت:٦٧١هـ) ، ط٢،تح:احمد البردوني وبراهيم اطفيش،دار الكتب المصرية،القاهرة،١٣٨٤هـ، ٩/٥؛ تفسير القران الكريم، ابن كثير(ت:٧٧٤هـ)،تح: مجموعة من العلماء،ط١،دار عالم الكتب،الرياض،١٤٢٥هـ،٣٣٤/٣،والبحر المحيط، ابو حيان (ت:٧٤٥هـ) ،تح: عادل عبدالموجود وعلي معوض،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٢٢هـ،١٦٧/٢؛ ومحاسن التأويل، القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) ،تح: احمد علي ومهدي صبيح، د.ط ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ،٨/٣. وينظر: التحرير والتنوير ٥٥/١.

[5] -التحرير والتنوير ٥٥/١.

٦ - ينظر: السبعة في القراءات ، ص٢٢٦. والتيسير ، ص٩٣. ومتن الشاطبية ، للشاطبي (ت: ٥٩٠ هـ)،تح: محمد الزعبي، ط٤، دار الهدى للدراسات القرانية ، ١٤٢٦هـ ، ٤٧/١ .

وعلى الرغم من أن هذا الفريق أخذوا بكلتا القراءتين (النصب والجر) إلا أنهم يرجحون قراءة النصب، ومن المفسرين من قالها صراحة أو إيماء القراءة بالخفض بأنها قبيحة عند البصريين، قليلة في الاستعمال، بعيدة عن القياس، لأن المضمر في (به) عوض من التنوين، ولان المضمر المخفوض لا ينفصل عن الحرف، ولا يقع بعد حرف العطف، ولأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان، يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر فكما لا يجوز (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)، فكذلك لا يحسن: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) [٢].

وخلاصة الكلام أن ابن عاشور في هذا المثال يعضد القاعدة الأساسية وهي (التكامل بين القراءات في بيان المعنى المراد من النص الكريم) إضافة إلى ثراء المعنى للنص القرآني وهذا ما عده ابن عاشور في مقدمته السادسة في تفسيره والتي تتحدث عن القراءات المتواترة واختلافها[٣] لان اختلافها لا يقتصر على توفير المعنى وإثرائه؛ بل هنا تقوم مقام تعدد كلمات القران واختلاف القراءات وثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما ورد في حديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم [٤] سمع عمر بن الخطاب يقرأ هشام بن حكيم سورة الفرقان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم على حروف كثيرة [٥] لم يقرأ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قيدت أساوره[٦] في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال : أقرأ نيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . فقلت : اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حرف لم تقرئينها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرسله اقرأ يا هشام) فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك أنزلت) ثم قال: (اقرأ يا عمر)

١- الحجة للقراء السبعة ، أبو علي الفارسي(ت:٣٧٧هـ) ، تح : بدر الدين قهوجي و بشير جويجابي ،ط٢ ، دار المأمون، دمشق – بيروت ، ١٤١٣ هـ،٣/ ١٢١.

٢- ينظر: الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب(ت: ٣٥٥هـ)، تح : محي رمضان ، ط٥ ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤١٨هـ ،٣٧٦/١ .

٣- ينظر: التحرير والتنوير ، ٥٦/١ . وينظر: قواعد الترجيح المتعلقبة بالنص عند ابن عاشور في تفسره التحرير والتنوير لعبير بنت عبدالله النعيم ، ص٥٣٥.

٤ –هشام بن خويلد القرشي صحابي وابن صحابي اسلم يوم الفتح وامه اخت الزبير بن العوام من الطبقة الرابعة استشهد في معركة اجنادين. ينظر: تهذيب الكمال في اسماء الرجال، المزي، تح : أ. د بشار عواد، ط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ،١٩٤/٣٠.

٥ – حروف كثيرة : لغات ولهجات كثيرة .

٦ –اساوره : اثبت عليه واخذ براسه .شرح النووي على مسلم ٤٢٢/٦.

فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه) [١]

المثال الثاني : قوله تعالى:

((وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)) [٢]

اختلف المفسرون في قراءتهم لقوله تعالى: في (زين) و(قتل) و (شركاؤهم) فكانوا على ثلاثة اقوال وهي:

القول الأول: قرأ الجمهور: (زين) بفتح الزاي ونصب (قتل) على المفعولية لـ (زين)، ورفع شركاؤهم على فاعل (زين)، وجر أولادهم بإضافة قتل إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله[٣]. القول الثاني: قراءة ابن عامر[٤] بناء فعل (زُّين) للنائب ورفع (قتْلُ) على أنه نائب الفاعل، ونصب (اولادَهم)على أنه مفعول (قتل) وجر(شركائِهم) على إضافة (قتل) إليه من إضافة المصدر إلى فاعله.

علما ان هناك من المفسرين من رد هذه القراءة، ومن هؤلاء (ابن عطية) ومنهم من اعتبرها ضعيفة في استعمال العرب.[٥]

وكذلك الطبري استبعد هذه القراءة وقال لا أستجيزها [٦] والرازي [٧] والشوكاني [٨] ولم يشر ابن كثير، ولا الشنقيطي إلى هذه القراءة.

القول الثالث:هناك من المفسرين من اخذ بالقراءتين معا وذهب ابن عاشور الى ما ذهب اليه المفسرون (القرطبي، وابن حيان، والالوسي، والقاسمي).

---

١ - اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القران ،بالرقم ٤٩٩٢ ، ١٨٤/٦ .

٢- سورة الانعام الاية : ١٣٧

٣ - ينظر: السبعة في القراءات ،ص٢٧٠ .

٤ - هو عبدالله بن عامر اليحصبي امام اهل الشام في القراءة من القراء السبعة اخذ القراءة عرضا عن كبار الصحابة،(ت:١١٨هـ)

في دمشق. ينظر: غاية النهاية ، ٤٢٣/١ -٤٢٤.

٥ - ينظر: المحرر الوجيز ،٤١١/٢، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره ص٥٤٥.

٦ - ينظر: جامع البيان :١٣٨/١٢

٧ - ينظر: مفاتيح الغيب، ١٥٩/١٣ .

٨ - فتح القدير ،١٦٧/٢

حجة أصحاب القول الأول : وهم الذين أخذوا بقراءة الجمهور بالنصب وردوا قراءة ابن عامر بالضم. وصف الإمام الطبري بأن قراءة (ابن عامر) معناها غير فصيح ولهذا قال: لا أستجيزها، وترجيحه قراءة الجمهور لإجماع الحجة من القراء على قراءة النصب [١] وتضعيف ابن عطية لقراءة (ابن عامر)؛ لأنه اضاف القتل الى الشركاء وهم لم يباشروا القتل وانما زينوا فقط [٢]. [٣]

حجة أصحاب القول الثاني: وهم الذين أخذوا بكلتا القراءتين وبمعنييهما .

أولاً : كلتا القراءتان متواترتان عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم. [٤]

ثانياً : بين ابن عاشور توهين الزمخشري لقراءة ابن عامر، فالزمخشري معتاد على تجرئه في توهين وتضعيف القراءات المتواترة، إذا خالفت ما دون عليه علم النحو فهو يعتقد ان القراءات اختيارات وأقيسة من القراء.[٥]

ثالثاً : أوضح القاسمي في تفسيره عن موقف الزمخشري عند رفضه لقراءة متواترة فهو يعتقد أن كل قارئ من هؤلاء السبعة القرآء الأئمة اختار حرفاً به اجتهاداً، لا نقلاً وسماعاً ، فلذلك أخذ يغلط على هذا وذاك.[٦]

<u>والذي يبدو لي :</u>

أولاً: هو ما ذهب إليه الإمام ابن عاشور وغيره من المفسرين من الأخذ بكلتا القراءتين لتواترهما عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: القراءة المتواترة صحيحة السند إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وتواترها يجعلها حجة في العربية[٧].

---

١ – ينظر: جامع البيان ، ١٣٨/١٢ .

٢ – الندرة: سقط وشذ منه ، وضده الكثرة والوفرة ،لو ندرت فلانا لوجته اي لو جربته. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ط ٣، دار صادر، بيروت ، ١٤١٤ هـ، ٢٠٠/٥ .

٣ – ينظر: المحرر الوجيز : ٤١١/٢ .

٤ – ينظر: السبعة في القراءات، ص٢٧٠، والتيسير، ص١٠٧ ،والاتحاف، ص٢٧٤ .

٥ – ينظر: التحرير والتنوير ، ١٠٣/٨ .

٦ – ينظر: محاسن التاويل ، ٥١٣/٤ .

٧ – ينظر: النشر، ٥٢/١ .

ثالثاً: لا يمكن ردّ اي قراءة متواترة صحيحة وقارئها ابن عامر أعلى القراء السبعة سنداً وأقدمهم هجرة، ومن كبار التابعين الذين اخذوا عن كبار الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء[١]، وهو مع ذلك عربي فصيح من صميم العرب، وكلامه حجة وقوله دليل.[٢]

رابعاً: رد (ابن عطية) لقراءة ابن عامر والسبب هو ندرتها لأنها مانعة لقبول القراءة عنده.

نقول إن الندرة لا تعني الضعف[٣] ولا يمكن إثبات ضعف قراءة بسبب ندرة استعمالها

وكما يقول المتنبي [٤] :

وندیمُهُم وَبِهِم عَرَفْنا فَضْلَهُ وبضدها تتبين الأشياء [٥]

[٦]

اللفظة	الاصل	الاضداد
ندرة	ندر	الكثرة
الضعف	ضعف	قوة

فالكثرة لا ترادف القوة

سابعاً :

إن المفسرين الذين أخذوا بكلتا القراءتين عدوا القواعد الإساسية التالية في القراءات وهي :

القاعدة الأولى: اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن الكريم يكثر المعاني في الآية الواحدة.

---

١ - هو عويمير بن زيد الانصاري صحابي وسيد قراء دمشق وفقيه وقاضي ومحدث ، من الخزرج خاض جميع المعارك بعد بدر .

ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ، تح :شعيب الأرناؤوط، ط ٣ ،مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٥هـ، ٣٣٥/٢.

٢ - ينظر: الاتحاف ، ص٢٤٧ . وينظر: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص ص ٥٣٩.

٣ - الضعف ضعف الفؤاد وقلة الفطنة والقوة ضد الضعف. ينظر: المرجع السابق، ٢٠٤/٩ .

٤ - هو ابو الطيب شاعر عراقي من العصر العباسي لقب بشاعر الحكمة من اعظم شعراء العرب على مر العصور فكان ولا زال الى اليوم شعره مصدر الهام له ديوان شعري امتدت حياته(٣٠٣هـ - ٣٥٤ هـ). ينظر: سير اعلام النبلاء ، ١٩٩/١٦ .

٥- ديوان المتنبى ، للمتنبي ، د.ط ، دار بيروت ، بيروت، ٢٠٠٩م،ص٤٧.

٦ - ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، هادي نهر، ط١، دار الأمل، الأردن ١٤٢٧هـ، ٥٣٥- ٥٣٦ ٥٣٦

القاعدة الثانية: القراءات المتواترة حق كلها نصاً ومعنى لا يجوز ردها ولا رد معناها .

ثانياً: موافقة رسم المصاحف العثمانية :

رسم المصحف :

يعرف (الرسم) لغة: بأنه أثر الشيء، ويقال ترسمت الدار، أي نظرتُ إلى رسومها وناقة رسوم تؤثر في الأرض من شدة الوطء والثوب المرسم المخطط. [١]

أما تعريفه الاصطلاحي هو اوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه على ملأ من الصحابة في كتابة كلمات القرآن وحروفه[٢].

وقد اعتنى ابن عاشور بهذه القاعدة فقال: (رسم المصحف سنة سنها كتاب المصاحف فأقرت)[٣]

أثارت قضية الرسم العثماني خلافاً بين العلماء، وللعلماء في هذه المسألة ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول: ان رسم المصحف توقيفي، لا يجوز تغييره، وتحرم مخالفته، شانه في ذلك شأن ترتيب سور القرآن وآياته، لا يجوز لنا أن نقدم أو نؤخر منها شيئاً ، وهو ما ذهب إليه جمهور الأمة ، ونقل عن كثير من العلماء الإجماع على ذلك(٤) .

المذهب الثاني: إنه ليس توقيفيا، ولا مانع من تغيير هذا الرسم حسبما تقتضيه قواعد الرسم الحديثة ومن أشهر المناصرين لهذا المذهب أبو بكر الباقلاني[٥]وكثير من المعاصرين[٦].

المذهب الثالث: جواز كتابته بالرسم الحديث لعامة الناس حسب قواعد الخط في أي عصر مع الابقاء على الرسم العثماني والمحافظة عليه كأثر نفيس حافظت عليه الأجيال المتعاقبة، ومن أنصار هذا المذهب العز بن عبد السلام [١] والزركشيّ [٢] .[٣]

١- معجم مقاييس اللغة ،٣٩٣/٢ .

٢- ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني ، ط٣، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٦٢ هـ، ٣٦٩/١ .

٣ - التحرير والتنوير ، ١٠/٨ .

٤) ينظر: مناهل العرفان ٣٧٢/١ .

٥ -هو محمد بن الطيب القاضي البصري الملقب بشيخ السنة والمدافع والمتكلم عن السنة فهو مالكي المذهب اشعري اشعري المعتقد وكان محدثا رائعا امتدت حياته (٨٣٣هـ - ٤٠٣ هـ) . ينظر: الاعلام ، ١٧٦/٤ .

٦ -مناهل العرفان للزرقاني ٣٥١/١.

أدلة المذاهب :

استدل اصحاب المذهب الاول على صحة مذهبهم ان الرسم توقيفي لا يجوز تغييره، باعتمادهم على الأدلة الآتية :

أولاً : حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على توثيق النص من جهتين :

ا- الحفظ :

فقد كان صلى الله عليه وسلم يحفظ كل ما ينزل من الوحي ثم يقرئ أصحابه بما حفظ، ويأمرهم بحفظه .

ب - الكتابة :

كتاب الوحي يكتبون للرسول صلى الله عليه وسلم ثم يراجعهم فيما كتبوا، حتى إذا وجد خطأ أمرهم بإصلاحه،

وهناك احاديث كثيرة تدل على ذلك فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية [٤] ((الق الدواة [٥] وحرف القلم، وأقم الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم وحسن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم)) [٦]والكتابة لم تقع منه صلى الله عليه وسلم عن وحي ولا تعلم .

والذي لا خلاف عليه بين العلماء أن القرآن الكريم كتب بين يديه صلى الله عليه وسلم وأقر الصحابة رضي الله عنهم على هذه الكتابة، والتقرير أحد أقسام السنة، وهو حجة عند الأصوليين

---

١ - هو ابو محمد عز الدين الشافعي يلقب بسلطان العلماء وشيخ الاسلام كان عالما وقاضيا وفقيها ومفسرا ولغويا بلغ مرتبة الاجتهاد استمرت حياته (٥٧٧ هـ - ٦٦٠ هـ). ينظر : طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ، ٢٠٩/٨ .

٢- هو ابو عبدالله بدر الدين بن بهادر شافعي المذهب اصولي ومحدث له مؤلفات في علوم كثيرة ومن ابرزها البرهان استمرت حياته(٧٤٥ هـ- ٧٩٤هـ). ينظر: الاعلام ، ٦٠/٦ -٦١ .

٣- مناهل العرفان للزرقاني ٣٥١/١.

٤ - معاوية بن ابي سفيان من اسياد قريش صحابي من كتاب الوحي ، ومؤسس الدولة الاموية ، اسلم بعد الفتح وتولى قيادة الجيش الاسلامي في فتح الشام ، توفي ٦٠هـ. ينظر: أسد الغابة ، ابن الأثير ، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ،٢٠١/٥.

٥- الق الدواة : اصلح مدادها اللمعان بسرعة. ينظر: مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تح : عبد السلام هارون، د .ط ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٩ هـ.، ١٣٢/١.

٦ -اخرجه ابو سعد السمعاني في ادب الاملاء والاستملاء ٢٨٨/٢

والمحدثين، فلو كان هناك خطأ في الكتابة لما أقرهم على ذلك لأنه يناقض صريح قوله تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))[١]

والرسم القرآني سر من جمال القران الكريم وكمال الرفعة، فالقرآن خصه الله دون سائر الكتب السماوية، فكما أن نظمه معجز، فرسمه معجز أيضا.[٢]

ثانياً : فعل الصحابة :

وهذا ما ثبت من فعل الصحابة (رضي الله عنهم) منذ خلافة أبي بكر وأمره بجمع القرآن كتبه الكتبة على نفس الهيئة التي كتب عليها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ثم جاء عثمان وأمره بنسخ المصاحف من صحف أبي بكر على هذا الرسم.

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الاقتداء بالخلفاء الراشدين والتمسك بفعلهم فقال صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي). [٣]

ثالثا الإجماع :

من المعلوم أن القرآن جمع في عهد أبي بكر وأن عثمان نسخ المصاحف من الصحف الذي جمع في عهد أبي بكر، وأرسلها إلى الأمصار المختلفة، وتلقى الصحابة رضي الله عنهم هذا العمل بالرضا والقبول ولم يشذ احد منهم على ذلك، وتبعهم على ذلك الائمة والمجتهدون، وأئمة القراءة في تلك العصور .

مثل الإمام مالك فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم ؟ قال: لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الأولى[٤] (كتبة الوحي) .

وقال الإمام أحمد: (يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك)[٥]

ومنهم اعتبر أن القرآن المتلو في جميع الأقطار المكتوب في المصحف ووقع الإجماع عليه فهو حق، فمن بدله بزيادة أو نقص أو تبديل حرف بحرف آخر مكانه عامدا هذا كافر.[٦]

---

١ –سورة الحجر الآية: ٩ .

٢ – ينظر: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، أحمد بن المبارك ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ،ص٦٠.

٣– اخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم ، بالرقم ٢٦٧٦ ،٤٤/٥ . حديث صحيح حسن؛ وكذلك اخرجه ابو داوود في سننه، كتاب السنة ، بالرقم ٤٦٠٧ ،٢٠٠/٤ ؛ واخرجه ابن ماجة في سننه ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ، بالرقم ٤٢ ، ١٥/١ .

٤ المقنع في رسم مصاحف الأمصار ، الداني ،تح : محمد الصادق ، د. ط ، مكتبة الكليات الأزهرية في القاهرة ، د.ن،ص٩–١٠ .

٥ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل ، دار الهيئة المصرية . د.ط، ١٣٩٤هـ ،١٦٩/٤ .

٦ ينظر: الشفا ، القاضي عياض(ت٥٤٤هـ) ، د.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ن، ٣٠٥/٢ .

أدلة المذهب الثاني :

استدل القائلون بأن الرسم العثماني ليس توقيفياً

أولا : اعتماد ممن جنح إلى هذا الرأي أنه لا يوجد دليل من القرآن أو السنة ولا اجماع الامة والقياس ، فلا مانع من تغييره بأي رسم كان.

واعتبر الباقلاني وهو أكثر مؤيدي هذا الرأي أن الكتابة لم يفرضها الله على الأمة، وأن خطاط المصاحف لم يأخذوا رسماً معيناً دون غيره، أوجبه عليهم وترك ما عداه، اذ الوجوب لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف، وليس في رسمه، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف.[١]

ثانيا: اذا كانت خطوط المصاحف وكثير من حروفها مختلفة ومتغايرة وكان الناس قد أجازوا ذلك حسب عاداتهم وأسهل وأشهر عليهم، من حيث كتابة الكلمة على مخرج اللفظ أو زيادة ونقصان حرف لان ذلك اصطلاح.[٢]

ثالثاً: اعتبارهم الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود، حيث اعتبروا رسم دال على الكلمة، مفيدا لوجه قراءتها تجب صحته ولا يؤثم ولا ينكر على صاحبه.[٣]

رابعاً: الرسم العثماني بظواهره المتقدمة المخالفة لقواعد الرسم الاصطلاحي توقع عامة المسلمين في حرج، وتؤدي إلى التحريف في كتاب الله تعالى فتحاشياً لذلك يجب كتابة المصاحف بالرسم الإملائي الحديث ، تمشياً مع قواعد الشريعة ومقاصدها العامة.[٤]

أدلة المذهب الثالث :

أولاً : أصحاب هذا المذهب يرون أن يكون هناك خطان للمصحف الشريف :

أحدهما للعامة حسب الاصطلاح الحديث. والثاني للخاصة حسب الرسم العثماني.

---

١ ينظر: الابريز ، ص٥٥ ، ومناهل العرفان ، ٣٧٣/١ .
٢ ينظر: المناهل ،٣٨١/١ .
٣ ينظر: المرجع السابق ،٣٧٣/١ .
٤- ينظر: البرهان ،٣٧٩/١ .

وأهم أدلتهم هو حماية القرآن الكريم من تحريف الجهال وخطئهم في تلاوته، وفي ذلك مصلحة عامة تتفق مع قواعد الشرع ومقاصده ولن تخلو الأمة من قائم لله بالحجة. [١]

وبعد بيان أدلة كل مذهب نرجح راي الفريق الأول الذي ينص على أن رسم القرآن توقيفي ، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور في رأيه عن رسم المصحف.

ثالثاً : صحة السند

وهو أن يروي القراءة عدل[٢] ضابط[٣] عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شذوذ ولا علة[٤]

ويرى ابن عاشور أن الشروط الثلاثة الاولى هي شروط في قبول القراءة إذا كانت غير متواترة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن كانت صحيحة السند الى النبي صلى الله عليه وسلم ولكنها لم تبلغ حد التواتر فهي بمنزلة الحديث الصحيح[٥]، وأما القراءة المتواترة[٦] فهي غنية عن هذه الشروط الشروط لان تواترها يجعلها حجة في العربية، ويغنيها عن الاعتضاد بموافقة المصحف المجمع عليه[٧]، ويؤيد كلام ابن عاشور ما ذكره ابن الجزري حيث كان يشترط التواتر في كل حرف ثم بهذا بهذا انتفى كثير من الحروف فظهر فساد هذا القول.[٨]
وخلاصة كلامه إن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره [٩] وبذلك كان ابن عاشور موقفه مختلف في القراءات المتواترة ، وما ذكر من شرط موافقة القراءة لمصحف

١- ينظر: البرهان ،٣٧٩/١.

٢ - العدل: من لم يكن مستور العدالة ولا مجروحا. ينظر: النشر ، ٩/١-١٠ .

٣ - الضابط : يكون حافظا متيقظا . ينظر: النشر ، ٩/١-١٠ .

٤ - العلة: ظاهره السلامة وفيه امر خفي قادح. ينظر: النشر ، ٩/١-١٠ .

٥ هو الحديث المسند الذي يتصل بنقل الضابط عن العدل الضابط الى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معلول.
ينظر: معرفة انواع علوم الحديث ، ابن الصلاح(ت:٦٤٣هـ)،تح: نور الدين عتر، د.ط ، دار الفكر، سوريا ،١٤١٧هـ،ص١٢.

٦ وقد تحرر لي منه ان القراءات انواع الاول المتواتر وهو مانقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم الى منتهاه وغالب القراءات كذلك . ينظر: الاتقان للسيوطي، ١٦٨/١ .

٧ - ينظر: التحرير والتنوير ،٥٣/١ .

٨ - ينظر: النشر ، ١٨/١ .

٩ - ينظر: المرجع السابق، ١٨/١ .

عثمان لتكون القراءة صحيحة يجوز القراءة بها ولا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن.[١]

يبين ابن عاشور أن المصحف الإمام ما رسمُوه إلاّ اتّباعاً لأشهر القراءات المسموعة المروية من زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) وقرّاء أصحابه ، فإن حفظ القرآن في صدور القرّاء أقدم من كتابته في المصاحف ، وما كتب في أصول المصاحف إلاّ من حفظ الكاتِبين ، وما كُتب المصحف الإمام إلا من مجموع محفوظ الحُفاظ وما كتبه كُتّاب الوحى في مدة نزول الوحي[٢] ويؤيد كلام ابن عاشور ابو شامة [٣] لا يشترط التواتر في القراءات، ويكفي النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكفي الاحاد الصحيحة وموافقة أركان القراءة الثلاث فتكون قراءة معتبرة.[٤]

وما ذكره ابن عاشور أيضاً قرره ابن الجزري القراءة التي ثبت تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم قبولها واجب ولا تحتاج إلى الركنين الآخرين والقطع بكونها قرانا.[٥]

المطلب الثاني : موقفه في التعامل مع القراءات المتواترة

لم يتبع الإمام ابن عاشور منهجاً واحداً في تعامله مع القراءات المتواترة، وانما تفاوتت طريقة منهجه في ذلك حيث يرى أن القراءة إذا كانت متواترة فهي غنية عن الشروط الثلاثة التي نص عليها العلماء وتواترها كاف لقبولها، وتحل قراءة تنطبق عليها الأركان الثلاثة فهي قراءة صحيحة لا يجوز ردّها أو إنكارها أورد معناها فهي حق نص ومعنى عن الأئمة السبعة أم عن العشرة .

بعد الدراسة والبحث وجدنا أن الإمام ابن عاشور قد وضع لنفسه منهجاً معينا اعتمد عليه في قضية ترجيحه أو اختياره لقراءة متواترة على قراءة متواترة في بعض الأحيان، ومن الخطأ أن نطلق على ابن عاشور انه يأخذ بالروايات المتواترة كلها ولا يرجح واحدة على أخرى.

---

١ - ينظر: التحرير والتنوير، ١٧٥/١ .

٢ - ينظر: التحرير والتنوير ، ١٦ /٢٥٢ .

٣ - هو عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي مؤرخ ومحدث وفقيه شافعي اشتهر بابي شامة لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الايسر له

عدة مؤلفات مهمة تعد مرجعا في علم القراءات عاش(٥٩٩هـ- ٦٦٥هـ). ينظر: الاعلام،٢٩٩/٣ .

٤- ينظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة، تح : قولاج ، ط١ ،دار الوقف التركي، انقرة انقرة ، ١٩٨٦م،ص١٧٣

٥ - ينظر: النشر، ١٣/١ .

وقد اعتنى ابن عاشور في أن الأصل توافق القراءات في المعنى للآية الواحدة [١] ومثال ذلك قراءة (لَامَسْتُمُ) في قوله تعالى :(وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) [٢]

اختلفت قراءات القراء في كلمة (لَامَسْتُمُ) حيث قرأ الجمهور (لَامَسْتُمُ) بصيغة المفاعلة ، وقرأه حمزة والكسائي وخلف (لمستم) بدون ألف[٣] ورجح ابن عاشور أن القراءتين واحدة، وهما من معنى واحد على التحقيق يحصل ومن حاول الفصل بينهما لم يحصل على شيء ، لان اصل المباشرة باليد او بشيء من الجسد [٤] فبما أن المعنيان متوافقان فلفظة (لامستم) و(لمستم) في عمومها تقتضي الوجهين ، فالملامس بالجماع يتيمم ، والملامس باليد يتيمم؛ لأن اللمس ناقض للوضوء [٥]، ومنهم من فرق بين (اللمس)و(الملامسة) من حيث المعنى [٦] أو منهم من ذهب إلى أن (لامستم) أبلغ من من (لمستم) [٧] ، والقول الراجح هو ما ذكره ابن عاشور من أن الأصل توافق القراءات في المعنى كما تقدم، ونقول : اللمس الذي يستوجب التيمم هو اللمس بشهوة ولمس المرأة لا ينقض الوضوء إلا إذا كان بشهوة، والمقصود من الآية اللمس بشهوة ، وبالتالي لا فرق في المعنى بين القراءتين[٨] .

ويؤكد هذا القاسمي في بقاء اللمس على معناه الحقيقى في قوله تعالى :(وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ)[٩] أي جسوه ومنه ما ثبت قوله

---

١ – ينظر: التحرير والتنوير، ٧١/١ .

٢– سورة، النساءالاية : ٤٣

٣– النشر في القراءات العشر لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى. ٢٥٠/٢.

٤– ينظر: التحرير والتنوير،٣/ ٦٦.

٥ –ينظر: المحرر الوجيز، ٧٢/٢ .

٦– ينظر: محاسن التاويل ، ١٣٠/٣ .

٧ – ينظر: النكت والعيون، الماوردي ، تح : عبد المقصود عبد الرحيم ، د. ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ن، ٤٩١/١ .

٨– ينظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ، دار دار الفكر ٥٤٤/١..

١–سورة الانعام الآية :

صلى الله عليه وسلم :((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الملامسة [١] وهو يرجع إلى الجس باليد))[٢]

ونظائر هذه الأمثلة كثيرة في تفسيره منها ما جاء في قوله تعالى :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**) [٣] قال ابن عاشور بعد بعد أن ذكر القراءة في (الكفار) : (ومآل القراءتين واحد)[٤] قرأ الجمهور (والكفارَ) بالنصب ، وقرأها أبو عمرو والكسائي ويعقوب (والكفارِ) بالخفض، فالقراءتان كلاهما معطوفة على الذين أوتوا الكتاب من قبل، وبذلك ابن عاشور أخذ بالقراءتين المتواترتين.

المطلب الثالث: موقف ابن عاشور من الطاعنين بالقراءات المتواترة

من المعلوم أن القراءات القرآنية المتواترة معين خصب للنحو العربي وهي مصدر أصيل يجب الاعتماد عليه والتلقي منه، والقراءة المتواترة سنة متبعة والقراء هم أهل الثقة فهم ملتزمين بما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينظرون في قراءاتها في الأقيسة العربية ، ولكن الأصح لديهم النقل والرواية، ولكننا نجد كثيرا من النحاة والمفسرين قد طعنوا في بعض القراءات المتواترة بحجة أنها تخالف القواعد التي وضعوها والاسس التي بنوا عليها النحو في نظرهم، رغم أن الأصل جعل القراءات القرآنية أصلاً وأساساً للنحو وليس العكس ، فهي مسموعة من أفصح العرب من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان لابن عاشور موقف ضد الطاعنين في كل من رد أي قراءة متواترة ومثال ذلك دفاعه عن قوله تعالى: ((لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا))[٥]

قال ابن عاشور: وعطف (والمقيمين)بالنصب ثبت في المصحف الإمام وقرأه المسلمون في الأقطار دون نكير، فعلمنا أنه طريقة عربية في عطف الأسماء الدالة على صفات محامد على

١- اخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع ، بالرقم ٢١٤٥، ٧٠/٣ ؛ ومسلم في صحيحه ، كتاب البيوع ، بالرقم بالرقم ١٥١١ ، ١١٥١/٣ .

٢ -- ينظر: محاسن التاويل، ١٣١/٣ .

٣ -سورة المائدة الايتان : ٥٧- ٥٨]

٤- التحرير والتنوير ، ٢٤٢/٦ .

٥ - سورة النساء الآية: ١٦٢]

أمثالها ، فيجوز في بعض المعطوفات النصب على التخصيص بالمدح ، والرفع على الاستئناف لاهتمام، كما فعلوا ذلك في النعوت المتتابعة، سواء اكانت بدون عطف أم بعطف، كقوله تعالى: (ولكن البر) إلى قوله (والصابرين)[١] قال سيبويه في (كتابه) باب ما ينتصب في التعظيم والمدح: (وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأول ، وان شئت قطعته فابتدأته)[٢] وذكر من قبيل ما نحن بصدده في هذه الآية فقال : فلو كان كله رفعاً كان جيداً ، ومثله قوله تعالى: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)[٣] وقد تكرر وقوعه في القرآن في معطوفات متتابعات كما في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[٤] وفي قوله : ((والصابئون)) وروي عن عائشة (رضي الله عنها) وأبان بن عثمان[٥] أن نصب (المقيمين) خطأ من كاتب المصحف ، وقوله (والصائبون) [٦] وقرأتها عائشة وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب والحسن ومالك بن دينار [٧] وعدد كبير من نساخ المصحف ((والمقيمون)) بالرفع ولا ترد قراءة الجمهور المجمع عليها بقراءة شاذة.

ومن الناس من زعم أن نصب(المقيمين) ونحوه هو مظهر تأويل قول عثمان لكتاب المصاحف حين أتموها وقرأها ؟ أنه قال لهم أحسنتم وأجملتم وأرى لحناً قليلاً ستقيمه العرب بألسنتها [٨] والظاهر أن قول تأويل قول عثمان هو ما وقع في رسم المصحف.

وكذلك دفاعه عن قراءة ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ**

---

١ – سورة البقرة:الآية ١٧٧]

٢ – كتاب سيبويه، لسيبويه(ت: ١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام هارون ، ط ٣، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ،٦٢/٢

٣– سورة البقرة الآية: ١٧٧]

٤ – سورة المائدة الاية : ٦٩ .

٥ – هو ابن الخليفة عثمان بن عفان تابعي مدني احد رواة الحديث واول من روى احاديث السيرة النبوية وحدث بها،(ت:١٠٥هـ)

بالمدينة. ينظر : سير اعلام النبلاء ، ٣٥١/٤– ٣٥٢ .

٦ – سورة المائدة الاية : ٦٩ .

٧ – هو مالك بن دينار البصري ابو يحيى من رواة الحديث ورعا ويكتب المصاحف بالاجرة، (ت: ١٣١هـ) في البصرة. ينظر: الاعلام، ٢٦٠/٥– ٢٦١ .

٨ – ينظر: قول الزرقاني في مناهله،١/ ٣٨٦– ٣٨٧ . الرواية عن عثمان هناك تناقض ظاهر بين وصف نساخ نساخ المصحف بانهم احسنوا واجملوا ، ووصف المصحف الذي نسخوه بان فيه لحنا، وهل يمكن القول للذين لحنوا بالمصحف احسنتم واجملتم .

عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ))[1] قرأت((فجزاء مثل ما قتل))عدة قراءات منهم من قرأها (فجزاء) منون (مثل) رفع، وقرأ الباقون(فجزاء مثل) مضافاً فمن رفعه جميعاً على معنى فعليه جزاء مثل الذي قتل فيكون (مثل) نعت الجزاء، أما الآخرون قالوا إذا نون فكأنه قال فجزاؤه عليه ثم فسر فابدل مثل من الجزاء واذا أضيف فكأنه قال فجزاء مثل المقتول واجب عليه أي فداؤه[2]، علق ابن عاشور على من رجح الرفع جميعاً على القراءة الثانية التي قرأ بها معظم القراء ماعدا (عاصم وحمرة والكسائي)، وكان له عدة توجيهات منها من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله (فجزاء مثل ما قتل) بإضافة (الجزاء) إلى (مثل) فيكون (جزاء) مصدراً بدل عن الفعل ويكون (مثل ما قتل)فاعل المصدر أضيف إليه مصدره و((من النعم)) بيان المثل لـ (ما قتل) والتقدير: فمثل ما قتل من النعم يجزء جزاء ما قتله أي يكافئه ويعوض ما قتله، وإسناد الجزاء إلى المثل اسناد على طريقة المجاز العقلي[3] واعتبر الإضافة بيانية بيانية أي فجزاء مثل ما قتل، والإضافة تكون لأدنى ملابسة [4] واضافة المصدر لمفعوله تخفيفاً، والأصل فعليه جزاء مثل ما قتل أي أن يجزى مثل ما قتل ثم أضيف [5] وهنا رد ابن عاشور على على كبار المفسرين مثل الطبري والزمخشري في ذلك والزمهم الحجة بان القراءة الأولى ليست أرجح من الثانية

وأما دفاعه عن قراءة قوله تعالى: ((**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)) [6]

قرئت (ميتة) عدة قراءات فقد قرأها نافع وأبو عمرو وعاصم والكسائي ((إلا أن يكون)) بالياء (ميتة) نصب لأن المضمر في (يكون) مذكر وهو قوله ((قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا)) ولم يقل محرمة وقرأ ابن عامر ((الا أن تكون)) بالتاء (ميتة) رفع يكون في هذه القراءة بمعنى الحدوث

---

١ - [المائدة: ٩٥]

٢ - ينظر: حجة القراءات ، ٢٣٥ .

٣ -ينظر: التحرير والتنوير، ٤٦/٧- ٤٧ .

٤ - ينظر: التحرير والتنوير، ٤٦/٧ .

٥ - ينظر: الدر المصون ، السمين الحلبي(ت: ٧٥٦هـ)، تح : د. الخراط ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧ هـ، ٤١٩/٤ .

٦ - سورة الانعام: الاية ١٤٥]

والوقوع المعنى إلا أن تقع ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة ((الا ان تكون)) بالتاء (ميتة) نصب[١]، فقد أورد بعض المفسرين إشكالاً على قراءة (ميتة) بالرفع، ومنهم الطبري في تفسيري فقال إن كانت غير خطأ في العربية ولكن في القراءة غير صواب، لان الله يقول: ((أو دماً مسفوحا)) ولا خلاف بين الجميع بأن (الدم) بالنصب في مصاحف المسلمين، وهو عطف على (الميتة) وإذا كانت ((الدم)) مرفوعة وقوله ((او فسقا)) مرفوعين ، ولكنها منصوبة ، فيعطف بهما عليها بالنصب [٢]، ورد ابن عاشور على هذا الإشكال وقد خرجت القراءة على أن يكون ((أو دماً مسفوحاً)) عطفاً على (ان) وصلتها لأنه محل نصب بالاستثناء فالتقدير: الا وجود ميتة فعل عبر عن الوجود بفعل يكون التام ارتفع مع ما كان مضافا اليه[٣] .

المطلب الرابع: موقف ابن عاشور مع القراءات الشاذة

أولاً : القراءة الشاذة :

يعرف الشذوذ في اللغة بأنه الانفراد واعتزال الجماعة والندرة.[٤]

وفي الاصطلاح :هو كل ما خالف الرسم أو العربية ولو كان منقولاً عن الثقات، أو ما وافق العربية والرسم ونقله غير ثقة أو نقله ثقة ولكن لم يتلقى بالقبول ولم يبلغ درجة الاستفاضة والشهرة [٥] .

أما منهج ابن عاشور في تفسيره عندما ذكر أنه لن يتعرض للقراءات الشاذة ولكنه يذكرها أحياناً، ولأغراض معينة، وإن ذكرها يصرح بشذوذها، ويذكر وجه ذكره لها، أو لا يصرح بشذوذها، ولكنه يلمح تلميحاً يفهم القارئ ضعفها، وكذلك لا يضيف نسبة القراءة لأصحابها في بعض الأحيان[٦] ومثال قوله بالتصريح بالشذوذ كما جاء في تفسيره قوله تعالى: ((**لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ**

١ – ينظر: حجة القراءات ، ص٢٧٦ .
٢ – ينظر: جامع البيان ، ١٢/ ١٩٦ .
٣ – ينظر: التحرير والتنوير، ١٨/ ١٣٨ –١٣٩ .
٤ – ينظر: لسان العرب ،٣/٤٩٤ .
٥ – القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، للشيخ عبد الفتاح القاضي(ت:١٤٠٣هـ) ،ط١ ،دار احياء الكتب العربية ، مصر، د.ن ،ص٧٠.
٦– لقد فصلنا الآية في المطلب السابق ، ص٢٠ .

وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا))[١]

وكما في قوله تعالى أيضاً : ((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) [٢] إذ ذكر القراءة الشاذة لرد بعض الوجوه النحوية في هذه الاية (والسارق والسارقة) بالنصب وهي قراءة شاذة لا يعتد بها، فلا يخرج القرآن عليها، وبين غلط ابن الحاجب [٣] في قوله، فالمختار هو النصب[٤] وقوله تعالى: ((سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)) [٥]

كذلك في قوله تعالى : (كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) بتخفيف ذال كذب وقال الطيبي[٦]: هي قراءة قراءة موضوعة أو شاذة يعني شاذة شذوذا شديداً ولم يروها أحد عن أحد من أهل القراءات الشاذة، ولعلها من وضع المعتزلة[٧].

نلاحظ ذكر ابن عاشور للقراءة الشاذة في تفسيره عند استشهاده بها للتنبيه على مخالفة القراءة الشاذة للناحية العقدية او لتفسير القراءة المتواترة ليس الا.

وأحياناً يستشهد بالقراءة الشاذة دون التصريح بشذوذها ليعضد معنى الاية بما يتفق معها في قول من الأقوال، أو بسبب قصة طريفة فيها نكتة عربية، او بيان أحد الوجوه النحوية الواردة مثل ما جاء

---

١ - سورة النساء الآية: ١٦٢]

٢ سورة الآية : ٣٨]

٣ - هو عثمان بن عمر الكردي النحوي المالكي الاصولي الفقيه، كان ابوه حاجبا فعرف به ، امتدت حياته(٥٧٠هـ- ٦٤٦هـ)،له عدة

مؤلفات في النحو والصرف والفقه. ينظر: بغية الوعاة ، السيوطي(ت: ٩١١هـ) ، تح : محمد أبو الفضل ، د. ط ، المكتبة العصرية ، لبنان ، د.ن، ١٣٤/٢ .

٤- ينظر التحرير والتنوير، ١٩٠/٦ .

٥ - سورة الانعام الآية : ١٤٨]

٦- هو الحسين شرف الدين الطيبي ، عالم حديث وتفسير وبيان، الف عدد من الكتب المهمة، كانت له ثروة طائلة انفقها في الخيرات حتى افتقر اخر عمره، توفي(٧٤٣هـ). ينظر: الاعلام، ٢/ ٢٥٦ .

٧ - ينظر: التحرير والتنوير، ١٨/ ١٤٨ -١٤٩ .

في قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) [١] ولذا فالأظهر أن يكون آزر في الآية منادى وأنه مبني على الفتح، ويؤيد ذلك قراءة يعقوب (آزر) مضموماً ويؤيده أيضاً ما روي : أن ابن عباس قراءه (أازر) بهمزتين أولهما مفتوحة والثانية مكسورة، وروى عنه أنه قرأها بفتح الهمزتين[٢]. وبهذا يكون ذكر اسمه حكاية لخطاب ابراهيم اياه خطاب غلظة فاقتضى ذكر اسمه العلم.[٣]

الخاتمة

وفي الختام اسطر اهم النتائج التي توصلت اليها من هذا البحث وهي على النحو الاتي:

١- ابن عاشور كان عالماً فذاً ومصلحاً كبيراً فكان له الأثر الكبير في الإصلاح والدعوة في تونس خاصة و المغرب العربي عامة ، ولم يكن كغيره من العلماء معلماً لعلمه؛ بل كان مؤدياً و مربيا في آن واحد ، فكان له اليد الطولى في تأسيس كثير من مراكز القرآن وإعداد القيادات الإصلاحية في المجتمع المغربي والإسلامي .

٢- اعتنى الشيخ كثيراً بتفاصيل المذهب المالكي ، لان أغلب أهل بلده مالكية ، حتى وصل إلى درجة الاجتهاد، معتمداً على الأصول الثلاثة (النص ، والإجماع، والقياس)

٣- اعتماده في تفسيره على القراءات المتواترة وذلك خلافا لكثير من المفسرين القدماء والمعاصرين منهم ، الذين شحنوا تفاسيرهم بالقراءات المتعددة الصحيحة والشاذة منها.

٤- يرى أن تواتر القراءات هو الشرط الأساسي لقبول القراءة ، وأما الشروط الثلاثة التي اشترطها العلماء من موافقتها وجها من العربية ، وموافقتها خط المصحف وصحة السند . انما هي شروط وجدت للقراءة غير المتواترة ، والتواتر غني عن هذه الشروط لأن تواترها يجعلها حجة ، ويغنيها عن الاعتضاد بموافقة المصحف المجمع عليه وكل قراءة وافقت الشروط الثلاثة تعد قراءة صحيحة ولم تبلغ حد التواتر فهي بمنزلة الحديث الصحيح ..

٦- اشار ابن عاشور في تفسيره الى ان الاصل توافق القراءات في المعنى وان حصل اختلاف في المعنى فهو امر مطلوب ليكثر المعاني في الاية الواحدة.

٨- بمنهجيتهِ استطاع معالجة وتوظيف كثير من الآيات التي تبدو متعارضة عند النظرة الأولى ومن خلال تمكنه في علوم اللغة وفنونها وعلوم القرآن ذلل كل الصعوبات وبين أن المعاني والمقاصد أكثر مما تحتمله الفاظ الآيات وهنا يكمن اعجاز القرآن .

١- سورة الانعام الاية: ٧٤]

٢ -طيبة النشر ٢٥٩/٢.

٣- ينظر: التحرير والتنوير ، ٧/ ٣١٢ .

٩- إبراز جهود ابن عاشور في دفاعه عن القراءات المتواترة ضد الطاعنين فيها من اللغويين وغيرهم .

١٠- من خلال تفسيره أوضح أهمية وفوائد القراءات القرآنية المتواترة و قيمة الشاذة منها في تدعيم المعنى وغيره.

١١- أن تفسير ابن عاشور يبرز رجاحة عقله وغزارة علمه في تعامله مع القراءات في تفسيره.

التوصيات

ولعلَ هنا ابدى بعض المقترحات حول موضوع البحث خاصة وموضوعات الدراسات القرانية عموما وهي:

أولاً: القيام بمشروع متخصص يعمل على دراسة مواقف ابن عاشور في قضايا القراءات القرآنية و بيان آراءه النفيسة للقران الكريم كاملاً .

ثانياً: ومن خلال دراستي للسور الثلاث. و بيان موقفه من الطاعنين في القراءات المتواترة بطريقة وأخرى على الرغم من ان غالبا أراءه تكون راجحة وتفسيره يستحق دراسة منهجيتهِ التي وضعها لنفسه ميزته عن غيره من التفاسير المعاصرة والقديمة على حد سواء.

ثالثاً: الاهتمام بعلم القراءات عامة فعلى الكليات المتخصصة ، فتح أقسام خاصة لتشجيع طلبتنا على ذلك لأهمية هذا العلم الذي يثري الطالب بعلوم متعددة.

رابعاً : أن تتم دراسة مستقلة في المقارنة بين منهجيتهِ في تفسيره للقراءات بأنواعها و بين مقدمته المتعلقة بالقراءات .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، أحمد بن المبارك ، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٣ هـ .

٢) ابن عاشور ومنهجه في تفسيره، عبدالله الريس، رسالة ماجستير، جامعة الإمام سعود، الرياض

٣) إتحاف فضلاء البشر، البناء الديمياطي ، تح : أنس مهرة ، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت

٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل، دار الهيئة المصرية، دط، ١٣٩٤هـ.

٥) إرشاد الفحول ، الشوكاني، تح: شعبان إسماعيل، دار السلام ، القاهرة ، ١٤١٨هـ .

٦) أسد الغابة ، ابن الأثير، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧) الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب اللغوي، تح: عزة حسن، د.ط، المجمع اللغوي السوري.
٨) أضواء البيان ، الشنقيطي ، د.ط ، دار الفكر، لبنان ، ١٤١٥ هـ.
٩) البحر المحيط، أبو حيان، تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: المرعشلي و آخرون، دار المعرفة- بيروت، ١٤١٠هـ
١١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل ، د. ط ، المكتبة العصرية ، لبنان ، د.ن .
١٢) تأريخ ابن خلدون، ابن خلدون، د.ط ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ١٩٥٧م.
١٣) تأريخ المصحف الشريف،عبد الغني القاضي، د.ط، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة،١٩٦٥م.
١٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، د.ط، دار سحنون، تونس ، ١٩٩٧م.
١٥) تدريب الراوي ، السيوطي ، تح : عبد الوهاب عبد اللطيف، د. ط ، المكتبة العلمية ، المدينة العلمية، المدينة المنورة ، ١٩٧٢م .
١٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: مجموعة من العلماء، دار عالم الكتب-الرياض.
١٧) تهذيب الكمال في اسماء الرجال، المزي، تح: أ. د بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٨) التيسير في القراءات السبع ، الداني ،ط٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٦هـ.
١٩) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت،١٤٢٠هـ.
٢٠) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، تح : أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش ،ط٢، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ .
٢١) حجة القراءات ، إبن زنجلة ، تح : سعيد الأفغاني، د.ط ، دار الرسالة ، بيروت، د .ن .
٢٢) الحجة للقراء السبعة ، أبو علي الفارسي ، تح : بدر الدين قهوجي و بشير جويجابي ،ط٢ ، دار المأمون، دمشق - بيروت ، ١٤١٣ هـ.
٢٣) : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ، دار الفكر .
٢٤) الدر المصون ، السمين الحلبي، تح : د. الخراط، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧ هـ.
٢٥) ديوان المتنبى ، للمتنبي ، د.ط ، دار بيروت ، بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي ، د.ط ، دار إحياء التراث.

٢٧) زاد المعاد، الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٢٢هـ.
٢٨) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تح: شوقي ضيف، د.ط، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠هـ.
٢٩) سنن ابن ماجة، لابن ماجة، تح: محمد عبد الباقي، دط ، دار إحياء الكتب العربية، بيروت،د.ن.
٣٠) سنن الترمذي ، للترمذي ، تح : أحمد شاكر و آخرون ، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٣١) سنن النسائي، للإمام النسائي، تح: مكتب تحقيق التراث، ط٥،دار المعرفة-ببيروت،١٤٢٠هـ.
٣٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تح:شعيب الأرناؤوط، ط٣،مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣٣) الشفا ، القاضي عياض ، د.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ن .
٣٤) صحيح مسلم، للإمام مسلم، تح: محمد عبدالباقي، د.ط، دار إحياء الثراث العربي، بيروت،د.ن.
٣٥) صحيح البخاري ، للبخاري، تح : محمد الناصر، دار طوق النجاة ، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٣٦) طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تح: د.الطناحي والحلو، ط٢، دار هجر-بيروت،١٤١٣هـ.
٣٧) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، هادي نهر، دار الأمل، الأردن ١٤٢٧هـ.
٣٨) غاية النهاية ، ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية ، بيروت ،١٣٥١ هـ .
٣٩) فتح القدير، الشوكاني ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، بيروت - دمشق ، ١٤١٤هـ .
٤٠) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، للشيخ عبد الفتاح القاضي ،ط١ ،دار احياء الكتب العربية ، مصر، د.ن .
٤١) قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ ، الكرمي ، تح : سامي عطا ، د. ط ، دار القرآن.
٤٢) كتاب سيبويه، لسيبويه، تح: عبد السلام هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
٤٣) كشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب، تح: محي رمضان، ط٥، مؤسسة الرسالة.
٤٤) لسان العرب، ابن منظور، ط ٣، دار صادر، بيروت ، ١٤١٤ هـ .
٤٥) محاسن التأويل، القاسمي، تح: أحمد على وحمدي صبح، د.ط، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٢.
٤٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تح: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية.
٤٧) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة، تح: قولاج، دار الوقف التركي، انقرة
٤٨) المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ، تح : مصطفى عبد القادر ، د. ط ، دار المعرفة .

٤٩) مع القرآن الكريم ، حيدر قفة، الدار البيضاء ، الأردن، ١٤٠٧ هـ.
٥٠) معاني القرآن ، الأخفش، تح : د.هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤١١هـ.
٥١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، د.ط، دار الفكر–بيروت، ١٣٩٩هـ.
٥٢) مفاتيح الغيب ، الرازي ،ط٣ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٢٠هـ .
٥٣) مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري، د. طالب محمد إسماعيل، د. ط ، دار كنوز المعرفة العلمية ، عمان ، ٢٠١١ م.
٥٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ، الداني ،تح : محمد الصادق ، د. ط ، مكتبة الكليات الأزهرية في القاهرة ، د.ن .
٥٥) مناهل العرفان، الزرقاني ، ط٣، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٦٢ هـ .
٥٦) منجد المقرئين ، ابن الجزري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
٥٧) الموافقات ، الشاطبي، تح : أبو عبيدة آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة ، ١٤١٧هـ.
٥٨) ميزان الاعتدال ، للذهبي ، تح :علي البجاوي، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٨٢ هـ.
٥٩) الناسخ والمنسوخ ، ابن العربي ، ط ٣ ، دار المكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٧ هـ .
٦٠) الناسخ والمنسوخ ، النحاس، تح : محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح ،الكويت، ١٤٠٨ هـ .
٦١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ، تح : علي الصباح ، ط٢، دار الفكر، دمشق.
٦٢) النكت والعيون، الماوردي، تح: عبد المقصود عبد الرحيم، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت،
٦٣) نواسخ القرآن ، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـ.